رونقها احسن من ذي قبل ومثل ذلك قل عن الوباء الذي فشا سنة ٧٤٩ والقحط الذي سبقهُ فما اصاب الشام اذًا من زلازل عام ١١٨٣ فهدم معظم المآذن والوفًا من الدور والجوامع والمحالّ العمومية والقرى التي ذهب بعضها بما فيهِ من حيوان وانسان والغلاء ضارب بجرانهِ والطاعون الجارف يودي بالانفس حتى صار يخرج من كل باب من ابواب المدينة كلَّ يوم الف جنازة وكذلك ما كان من الزلازل والاوبئة والمجاعات في القرن الماضي كان يمكن بعدهُ للبلاد إرجاع مجدها السالف لو لم تتغلب تلك الاسباب الارضية وتصبح الامور صورية

محمد كرد علي

رواية امينة

الفصل الثامن

مضت عليَّ ساعة زمانية وانا افكّر في ما صمَّمتُ عليهِ وفي ما ينال نافذ بك من فراقي وما ينالني من فراقهِ واذا انا بواحد يناديني باسمي ففتحت عينيَّ فرأيت نصرالله باشا نفسهُ واقفًا امامي فنظرت اليهِ والى ادهم بك وراءهُ مبهوتةً وانا اقول في نفسي ما اتى بهِ اليَّ وكيف تنازل الى هذا الحد. وكأنهُ رأى اضطرابي فتناول كرسيًّا وجلس وقال لي تعالي اليَّ يا امينة فقد قال لي ادهم بك انك تريدين مفارقتنا. فقلت "نعم" ولكن بصوت منخفض جدًّا حتى اضطرَّ ان يحني رأسهُ اليَّ ليسمعني. ثم قال احسنتِ فانهُ صار يتعذَّر عليك البقاء هنا بعد ان حدث ما حدث امس. واظن ان ادهمًا مصيب في انكِ تجدين راحةً في بيت بنتي. ولا احب ان تتركينا مطلقًا ولكن ما دمتِ في بيت بنتي فانتِ في بيتنا كواحدة منا

وحاولت ان اشكرهُ على معروفهِ لكنهُ اسكتني قائلاً انتِ تعلمين يابنتي ان نافذًا لا يستطيع ان يتركك بسلام لانهُ مجنون ولا اظن انكِ تسلمين معهُ اذا طلب ان يكتب كتابهُ عليك سرًّا. وامرأتي مغاظة جدًّا من مسألة هذه الورقة التي وجدتها تحت عنبتهِ. فهل تستطعين ان تذهبي الآن

فذهلتُ من هذا السؤال وقلتُ لهُ كيف استطيع ان اذهب الآن

فقال الامر سهل جدًّا ولا اعني ان تمضي الى بيت بنتي حالاً اذ لا بد من انتظار المركب الذي يذهب الى هناك ولكن يسهل عليَّ ان ارسلكِ الى بيت رجل اعرفهُ في قباطاش

وهو طبيب ويقابلك على الرحب والسعة وترسل امتعتك الى هناك والدراهم التي تركتها لك جدتك الاَّ اذا فضلت ان تبقى عندي

فقلت " هذا هو الاحسن " وانا لا ادري ما اقول . والتفت هو الى ادهم بك وقال لهُ ايقظ سليماً وقل لهُ ليهيئ القايق

فمضى ادهم بك وبقيت مع نصرالله باشا فقلت لهُ الاَّ يستغرب الطبيب ذهابي اليهِ في هذا الوقت من الليل

فقال لم يبقَ الوقت ليلاً فقد طلع الفجر ولا تصلين الى هناك حتى تشرق الشمس وسأُرسل معك كتاباً اليهِ اخبرهُ بواقعة الحال . ولما قال ذلك نهض ودنا مني ووضع يدهُ على كتفي وقال صديقيني بأبنتي انني افعل ذلك رغماً عني ولاجل خيرك والله يعلم اني ما يظهر من الجفاء في معاملتي لك انما الغرض منهُ خيرك لا غير

فقلتُ نعم اني اعرف ذلك ثم وقفتُ عن الكلام لانني رأيتهُ يتبسم وراعني هذا التبسُّم لا سيما وانني كنتُ اظن ان ادهم بك اطلعهُ على كل ما اطلعتهُ عليهِ

وصمتَ دقيقة ثم قال ولكن لا تستطيعين ان تمضي كما انت اين فرجينيا . فقلت لهُ هنا وقمت واتيت بها من وراء الباب

فقال حسنًا البسيها . ولم يستغرب وجودها هناك فجزعت من ذلك لانني رأيتُ ان ادهم بك لم يخف عنهُ شيئًا فلبستها وانا اتصبب عرقًا من الخجل . وعاد ادهم بك حينئذٍ وقال اعددنا القايق فتعالي يا امينة . وتقدمتُ الى نصرالله باشا لاقبل يدهُ فانحنى وقبلني كأني ابنتهُ وقال لي يحفظ الله يا بنتي واستري ما رأيت مني وسامحي نافذًا على طبعهِ ثم وسيرافقك ادهم الى بيت الطبيب

فشكرتُ فضلهُ ثانيةً ومشيت مع ادهم بك فنزلنا الى الطابق الاسفل وسرنا الى الحديقة وكان القايق في انتظارنا عند الرصيف فلما نزلنا فيهِ التفتُّ الى الدار التي اويت اليها وقضيتُ فيها اوقات السرور وقد خرجتُ منها كأني مطرودة طردًا ولا احد يعلم بخروجي منها لاولية هانم ولا وحيدة هانم ولا كنجه ولا غيرها من الجواري ولم اودّع احدًا منهن . فنظرت طويلاً الى الدار والحديقة وقلبي يكاد ينفطر ثم غطيت وجهي بيدي واخذت ابكي . وانتحب وجلس ادهم بك بجانبي ولم يفه بكلمة . ولما ابعدنا عن البيت ولم نعد نراهُ اخذ يدني يديهِ وقال لي الله يعلم ان هذا خيرٌ لك

فقلت لهُ وتكاد العبرات تخنقني نعم وانا اعلم ذلك ولكن ما حيلتي اواه بك افيدي هل

يليق بي ان اتركهُ على هذه الصورة من غير ان اقول لهُ كلمة ومن غير ان ابين لهُ سبب ذهابي فقال نعم وهذا خير لهُ ايضاً لان مستقبلهُ كلهُ يتوقف على ما تظهرينهُ من الجلَد هذه الليلة

فبقيت صامتة وانا احسب انني مخطئة في ما فعلتُ ولا اقدر ان ابرّر نفسي وخطر لي انهُ يحسب انني خفتُ من امهِ فهربت من وجهها من غير ان اهتم بهِ او براحة بالهِ . ولما خطر ببالي ذلك صغرتُ في عيني نفسي ولكني رأيت ان لا سبيل الى رد ما فات لان القايق وصل حينئذٍ الى قباطاش فنزلنا منهُ ومشينا الى بيت الطبيب وهو قريب من الرصيف وكان النهار قد طلع ولكننا لم نرَ احداً لحسن الاتفاق والاَّ لحُمل ادهم بك على السنة الناس لخروجهِ معي في تلك الساعة . اما هو فلم يكن يبالي بذلك على ما ظهر لي بل مشى معي الى الباب وقرعهُ بيدهِ ففتح لنا خادم وقابلنا مدهوشاً من رؤيتنا فسألهُ ادهم بك عما اذا كان الطبيب في البيت فقال نعم ولكنهُ لم ينزل حتى الآن فقال قل لهُ ان ادهم بك هنا وخذ هذه السيدة معك الى غرفة تستريح فيها

فدخل الخادم وطلب منا ان نتبعهُ فتبعناهُ الى غرفة الاستقبال ثم اشار اليَّ ان اسير وراءهُ وصعد على سلم وقرع باباً في اعلاهُ فقالت لهُ امرأة ماذا تريد يا علي آغا فقال ان ادهم بك بن نصرالله باشا هنا ويريد ان يرى الافندي فقولي لهُ لينزل وافتحوا الباب حتى تدخل هذه السيدة

فنُتح الباب واذا انا بامرأة عمرها نحو ثلاثين سنة لابسة ثياب النوم فنظرتْ اليَّ مستغربة امري وقالت لي ادخلي يا حبيبتي وسانادي زوجي الآن . وادخلتني غرفةً مثل كل غرف الاستقبال في الاستانة فيها كنسول عليهِ ازهار من الشمع وفوقهُ مرآة كبيرة تحيط بالمقاعد والكراسي بجدرانها . وكان فيها شباك مفتوح فوقفتُ امامهُ واتكأتُ عليهِ ولم اشعر في حياتي كلها بما كنت اشعر بهِ تلك الساعة من الغم والكآبة وصغر النفس . وكان اكثر غمي خجلاً من نفسي . ثم دخلت صاحبة البيت ونظرت اليَّ وكأنها علمت ما بي فلم ترد ان تشير اليهِ في كلامها بل قالت اجلسي يا حبيبتي هل انت صائمة او آتيك بفنجان قهوة

فقلت بل انا صائمة . فقالت انزعي يشمكك ثم نزعتْ عني اليشمك والفرجية ونظرتْ الى ثيابي وهي الثياب التي كنتُ فيها في البستان ولم اكن قد غيرتها ولعلها استدلَّت منها على انني لستُ من الهوانم لكنها بقيت على مؤانستها ومجاملتها وجلست امامي وجعلت تتكلم عن رمضان والحر وجامع قباطاش وعن كل موضوع خطر على بالها كل ذلك وهي حافية بقميص النوم ولا تبالي . فجاريتها في الكلام على قدر استطاعتي لان قلبي لم يكن فاضياً لها . وبعد ان

كلمتني ربع ساعة على هذا النسق سألتني من انا وقبل ان تتم سؤالها سمعت صوتاً يناديها باسمها صفية فقامت واعتذرت وخرجت قائلة هذا زوجي

واظنها خرجت تسأله عني فاسندت رأسي على الكرسي الذي كنت جالسة عليه وغصت في بحار الافكار وراجعت تاريخ حياتي من اوله الى آخره كأنه صورة مرّت امام ناظري و بعد نحو ربع ساعة عادت اليّ مسرورة وضمتني الى صدرها واخذت تقبلني . وقالت لي انك ستقيمين عندنا وانا مسرورة بذلك جدًّا وسأرسل امتعتك اليك الآن وقد قلت للخادمة ان تسخن الحمام وانت طولي فاذا اردت ان تستحمي يمكنك ان تلبسي ثيابي . ثم سارت بي الى الحمام وساعدتني في خلع ثيابي وخرجت والتني بثياب غيرها وقالت لي اغتسلي والبسي هذه الثياب وانا ذاهبة الآن لاعدّ غرفتك

فشعرت بشيء من النشاط بعد الحمام وتبعتها فرأيتها ترتب غرفة صغيرة فاخذت اساعدها في ترتيبها ولما اتمتها التفتت اليّ وقالت عسى ان تنبسطي وتبقي عندنا مدة طويلة فأسلّي بك لاني وحيدة . ثم تركتني ومضت فاستلقيت على ديوان صغير كان هناك واغمضت عيني وانا كأني في بحر ولم يكن الاّ قليل حتى غلب عليّ النعاس فنمت و بقيت نائمة الى قرب الغروب . وجاءت حينئذٍ ووضعت يدها على جبيني فاستيقظت فقالت لي حان وقت صلاة العصر ألا تصلين فنظرت الى ما حولي مدهوشة و بقيت لحظة لا ادري اين انا . ثم قالت لي لم تأتِ صناديقك حتى الآن ولكن جاء ادهم بك الى هنا منذ ساعة من الزمان وسأل عنك وقال ان صناديقك تأتي في المساء

فقمت وصليت وهي جالسة امامي ولما اتممت صلاتي نادتني لاجلس معها امام الشباك قائلة انا نرى المأذنة والمؤذن من هنا حتى اذا اذّن المغرب ننزل حالاً ونفطر وانا احب هذا الشباك لاننا نرى منهُ الاحتفال بليلة القدر وسيحتفل بها بعد تسعة ايام ولا بدّ من ان تكوني هنا و يزورني حينئذٍ كثيرات من الهوانم فاولم لهنّ وليمة كبيرة . ثم سألتني عن يوم سفري فقلت لها لا اعلم لان ذلك متوقف على امر نصر الله باشا

فقالت نعم من غير شك وليس في الدنيا رجل مثله . اظن ان جدتك كانت خادمة في بيته فقلت لها " نعم " وانا اسأل نفسي ترى كم تعرف من امري . فقالت ولما رأته وحيدة بعد موتها اراد ان يرسلك الى بيت واحدة من اقاربه الله يرضى عليه

فقلت في نفسي اذًا لا تعرف من قصتي شيئًا

ثم قالت ألكِ احد من الاقارب هناك ولماذا لم يبقكِ في بيته فانهُ غني جدًّا وما هي

نفقة اكلكِ وشربك بالنسبة اليهِ

فقلت لها لانني لم احب ان ابقى في بيتهِ

فحملقت فيَّ وقالت ولماذا ألا تحبين اسلامبول . انا ولدت هنا وكان ابي تاجرًا في طرابزون ولم يكن يريد ان يزوجني بالافندي ولكن لما رآهُ عاقلاً مواظبًا على شغلهِ قال انهُ الاحسن لي ان اتزوج بهِ ولو كان فقيرًا لان مستقبلهُ حسن ولا بدَّ من ان يرتقي مع الزمان لانهُ مجتهد . وانا أؤكد لكِ انهُ مجتهد جدًّا ولا بدَّ من ان يصير باشا وبالاخص لان نصرالله باشا صار يساعدهُ من الآن فصاعدًا بسببك . ثم وضعت ذراعها حول عنقي وباستني

وعند ذلك ضرب المدفع فنهضتُ وقالت ضرب المدفع ولا بدَّ من ان يكون الافندي في انتظاري

قالت ذلك وخرجت وتركتني مطمئنة البال لانني رأيت انها لم تعلم شيئًا من امري

الفصل التاسع

وقفت صفيَّة امامي وهي تقول اتدرين يا امينة من اتى الآن وسأل عنكِ وطلب ان يراكِ . قالت ذلك باسمةً مسرورةً . وكان في يدي منديل اطرزهُ فالتفتُّ اليها وقد خفق فؤادي وكان قد صار لي في بيتها ثلاثة ايام وقلت لها مَن . قلت ذلك وانا احاول ان اخفي اضطرابي

فقالت احزري . ان نصرالله باشا ارسل ابنهُ الثاني نافذ بك لكي يقول لكِ شيئًا . ما اغرب ذلك لماذا لم يرسل واحدًا من الخدم

فلم اجبها لاني رأيت ان ما خفت منهُ وقعتُ فيهِ فقد عرف اين انا . وجعلت اقول في نفسي هل انزل واقابلهُ او ارفض مقابلتهُ . ثم رأيت انني اذا رفضت مقابلتهُ اثير الظنون والشبهات في نفس الطبيب وزوجتهِ فانهما كانا يحسبانني مكرمة معززة من الباشا ماذا رفضت مقابلة ابنهِ ظنوا بي ظنونًا كثيرة. ثم قلت في نفسي ترى ألا يجب عليَّ ان ابين لهُ سبب خروجي من بيت ابيهِ على هذه الصورة أوَ يستحق مني هذا الجفاء وقد خاطر بكل عزيز لديهِ لاجلي وكان يصعب عليَّ ان اقول في وجههِ انني صممت النية على عدم الاقتران بهِ ولكن ما دمتُ قد صممت نيتي فما الفائدة من اخفائي ذلك عنهُ

وقمت لانزل معها فنظرتْ اليَّ مستغربةً وقالت اتنزلين هكذا من غير ان تغطي رأسكِ . فوقفتُ مضطربة والتفتُّ الى الديوان واخذتُ منديلاً كان ملقى عليهِ ووضعتهُ على رأسي فلم امنعها ولكنني اسأزرت من هذا التظاهر بالحياء ومن نفسي ايضًا . ثم قالتْ لي انزلي الآن

فانهُ في السلاملك فنزلت ورأيت علي اغا فسألتهُ عما اذا كان سيدهُ هناك فقال لا ففتحت الباب وانا لا ادري هل يجب ان أُسرَّ او اساء لانني التقيت به وحدنا . وكان واقفاً بجانب طاولة فلما دخلت دنا مني وامسك يديَّ ونظر في وجهي وضمني الى صدرهِ وقال لي ماذا فعلت بنفسكِ يا امينة فقد صرتِ كالخيال

فقلت لهُ ما اتى بك الى هنا لماذا أتيت ألم يكن الافضل لك ولي ان لا تأتي الى هنا

فقال لماذا تقولين ذلك اتصدقين اني اتركك تذهبين من غير ان اعرف سبب ذهابكِ

فقلت لهُ وما الفائدة من ذلك فان اباك قد رفض رفضاً باتاً

فقال لماذا اريتِ ورفتي لادهم ولماذا لم تثقي بي

فقلت لانني لا اريد ان ادخل بيتاً غصباً عن اهلهِ

فقال هل هذا هو الكل . اعلمي يا حبيبتي انكِ متى صرتِ زوجتي اضطرَّ ابي وامي وكل احد ان ينظر اليكِ كما ينظر اليَّ فلا تدعي هذا الوهم يغلب عليكِ . ومتى كُتب كتابنا تذهب من هذه المدينة فلا تعودين تخافين من امي . تعالي يا امينة ألا تؤكدين اني احبكِ صدقيني اني اتوسل اليكِ بذلك من اجل نفسي فانكِ انتِ وحدكِ قادرة من تخليصي من عاقبة الموت خير منها . نعم اذا رفضتِ الاقتران بي لا اموت وما من احد مات حباً بل ابحث لعلوك واقترن بامرأة أُخرى بامرأة لا اعرفها ولا توافق ذوقي امرأة تنظر اليَّ كأني سيد لها وانا انظر اليها مثل ام لاولادي لا غير

فقلت لهُ لا بدَّ من انك تجد كثيرات من بنات الاتراك اصلح لك مني كثيراً . قلت ذلك على غير ارادتي لانني كنت اراهُ يتكلم بجد وصراحة وكلامهُ خارج من اعماق قلبهِ

فقال اني لا انكر ذلك ولكن ما ادراني كيف تكون طباع التي تكون من نصيبي فانني تذهب الى بيت فترى ابنة تعجبها وهي لا تعرف شيئاً من اخلاق النساء وطبائع الناس وكيف تستطيع ان تفرق بين الحشمة الحقيقية وبين التظاهر بها كما يتظاهر اكثر البنات امام من تأتي لخطبتهنَّ . وهبي انني وجدتُ ابنة عاقلة ادبية تستحق كل محبتي واكرامي فهل يجوز لي ان اقترن بها بعد ان تعلق قلبي بكِ . صدقيني يا امينة انني لا استطيع ان احب ابنة أُخرى كما احبكِ

فوضعت رأسي على كتفهِ والدموع ملأت عينيَّ وقلتُ لهُ بصوت منخفض وانا احبك ايضاً ومع ذلك ارى ان لا بدَّ من افتراقنا اتظن انهُ يمكنني ان احب شخصاً آخر لو كان ذلك في استطاعتي ما رفضت داود

فقال كيف رفضتِهِ وقد سمعتُ انكِ اتيتِ الى هنا لتقترني بهِ فان كنتِ تحبينني لماذا لا تصدقينني ان ابي وامي يعترفان بكِ حالما يُكتب كتابي عليكِ ولا يعودان يقولان شيئًا

فقلت لهُ اني لا انكر معروفهما فقد قبلاني في بيتهما وعاملاني مثل بنتهما

فقال وخيّا هذه المعاملة بهجوم امي عليكِ حتى لولا قليل لقتلتكِ وبطردها اياكِ من بيتهما في ظلمة الليل كانكِ من اللصوص ولذلك تضحين نفسكِ وحبكِ مرضاةً لها

فقلت ان الباشا لم يكن يقصد الاَّ خيري ووقايتي من املك

فقال "بالله عليكِ لماذا لم يقف مثل رجل ويقلّ لزوجتِهِ اليكِ عن هذه الفتاة . أَخوفهُ من زوجتِهِ جعلهُ يأمر القابجي لكي لا يخبرني الى اين اتى بكِ حتى اضطررت ان ارشيهُ لكي يخبرني" . وحاولتُ ان اتكلم فاسكتني قائلاً اني لم آتِ الى هنا لاسمع صدى صوت ادهم بك . الله يعلم انهُ وعظني مواعظ لا يزال صوتها يرنُّ في اذنيَّ . وغاية الامر اني لا اسمع لوم احد فقد قلتِ لي الآن انكِ تحبينني وما دمتِ تحبينني فانتِ لي ولا يفرق بيننا الاَّ الموت

فقلتُ لهُ ما دام ابوك يرفض اقترانكَ بي فانا لا يمكن ان اقترن بكَ وهذا ختام الامر

فقال مازحًا لماذا لا تضعين ورقةً أُخرى تحت علبة غرفتِهِ حتى يسلم باقتراني بكِ . انتِ تعلمين اني لا اصدق بهذه الخرافات ولكنني احبُّ ان اعرف لماذا تكتبين لي ورقة محبة اذا لم تكوني مهتمة بالاقتران بي

فعلتني حمرة الخجل حينئذٍ ونظرت اليهِ وقلت ان بوار هي التي جلبت تلك الورقة ووضعتها . وقد كذبتُ في ذكر اسمها لما قالا اني انا جلبتها ووضعتها

فقال لقد صدقتِ وكان من جنوني اني صدقتُ ان حبَّكِ لي يدعوكِ الى مثل هذا العمل فان حبكِ لي لا يحملكِ على ان تشغلي بالكِ لاجلي

فقلت لهُ ودموع الغيظ تجول في عينيَّ لقد ظلمتني بانافذ بك ولم تنصفني احتسب اني لا احبك لاني لم اشأ ان ادعك تُرسل اليمن حيث تدفن حيًّا

فقال ومَن قال لكِ ذلك . فلم اجبهُ فقال اذًا ادهم . امينة اسمعي كلامي ولا تدعي هذا الرجل يدجّل عليكِ فاني اعرف مقاصدهُ ونياتهِ

فقلتُ لهُ اليكَ عن هذا الكلام فان ادهم بك من اشرف الناس واجلهم وهو الرجل الوحيد الذي امكنني ان الجأَ اليهِ وقت الشدَّة

فقال بارك الله لكِ فيهِ . وسار نحو الباب ليخرج لكنهُ عاد ونظر اليَّ نظر مَن ثقلت عليهِ الهموم والغموم وامسك يديَّ وقال "كيف استطيع ان ابين لكِ اني لا استحق هذه المعاملة

منكِ اني احبكِ من صميم قلبي حبًّا طاهرًا نقيًّا وانتِ تعاملينني كأن حبي لكِ عارٌ عليكِ. ألا تصدقين ان مستقبلي كلهُ في يدكِ ". واردتُ ان اتكلم فمنعني عن الكلام قائلاً. نعم نعم ان ابي توعدني بارسالي الى اليمن والحياة هناك تعب وهلاك فهل رأيكِ فيَّ ضعيف الى هذا الحد حتى تحسبي اني اخاف من الذهاب الى هناك

فقلت انك لا تخاف من الذهاب ما دمتَ في سبيل الشهرة والمجد ولكن اذا ذهبت الى هناك نفيًا فاي نفع تنتظر. وحالما يُعلم ان نصر الله باشا اقصاك عنهُ لا يعود رؤساؤك يحسبونك الاَّ واحدًا من عامة الجند

فقال وما ضرَّني فاني احبُّ شغلي واسرُّ بهِ هنا وفي اليمن على حدٍّ سوى وما دمتِ معي لا فرق عندي بل امضي الى جهنم مسرورًا

فقلت لهُ هذا تقولهُ الآن ولكن مَن يعلم ما تقول بعد عشر سنوات او عشرين سنة لأن مدة نفيك قد تطول اكثر من ذلك

فقال هبي اني عشت عمري كلهُ منفيًّا فهذا لا يهمني ألا تصدقين يا امينة انني لو بقيت هناك ثلاثين سنة لا يمكن ان تسمعي مني كلمة لوم او تذمُّر

فقلت ولكن أيقلُّ المكث اذا لم تشكُ أوَ لا يكون اسهل عليَّ ان اسمع اللوم والتذمر من ان اعلم انك تحتمل في قلبك ولا تتذمَّر علانيةً

فامسك يديَّ بيديهِ ونظر في وجهي وقال قولي لي الحق أتحبينني

فنظرت في وجههِ ولم اتمالك ان نزعت يديَّ من يديهِ وادنيت رأسهُ مني وقبلتهُ وقلت لهُ هذا جوابي اصدَّقت اني احبك

فقال ما دمتِ تعلمين ما هو الحب فلماذا تبقين على هذا الاصرار وتخافين ان اندم يومًا ما على ما فعلت

فلم اجابهُ لانني شعرت بخجل شديد مما فعلت وقامت عليَّ كل التعاليم التي تعلمتها وكل الوصايا التي سمعتها توبخني وتونبني على ما فعلت. والظاهر انهُ اتخذ سكوتي تسليمًا لهُ فقال الحمد لله لقد رأيتِ بنفسكِ ان لا فائدة من هذا العناد تعالي وغدًا نذهب الى القاضي فيكتب كتابنا

فقلت لهُ كلاَّ كلاَّ لماذا تريد ان تزيد مرارتي مرارةً. وقبل ان يجيبني قُرع باب البيت فسار اليهِ وفتحهُ وقال جاء ادهم والتفت اليَّ عابسًا وقال قولي لهُ انكِ كنتِ تدافعين عنهُ. فلم اجبهُ اولاً لانني كنتُ اقول في نفسي ترى ماذا يقول ادهم بك عن وجودي مع اخيهِ وجدنا

ثم قلتُ لهُ ألا تستطيع ان تخرج قبل دخوله . فقال ولماذا ألا تظنين اني اقدر ان اقول لهُ ان لا يد لكِ في مجيئي الى هنا

وقبل ان اجيبهُ دخل ادهم بك وهو عابس ولكنهُ لم يبدِ اقل استغراب من وجود اخيهِ معي بل قال لي سألتُ علي آغا عنكِ فقال انكِ مع نافذ فلم احسب انكِ تعدّين دخولي تطفلاً ولذلك دخلتُ

فحاولت ان اجيبهُ ولا اعلم ماذا قلتُ لانني رأيت الغضب في وجههِ . ثم قال اترى ان مجيء نافذ الى هنا قد ألمَّ كثيرًا ولكن الحمد لله سنضع حدًّا لذلك

فقال لهُ نافذ بك لا تعد باكثر مما تستطيع ان تفي واحبُّ ان اعرف ماذا تفعل حتى تمنعني من المجيء الى هنا اذا اردت المجيء

فاجابهُ اني سآخذها الى حيث لا تستطيع ان تصل اليها وتعذبها فقد ارتني هذه الشهور الثلاثة انهُ من العبث ان أعتمد على شهامتك وحسن ذوقك

فقال نافذ بك واي نقص رأيتهُ في شهامتي وحسن ذوقي ولا انكر انك من اعرف الناس بهذه الامور فاذا اريتني موضع النقص سلمتُ لك حالاً

فقال ادهم بك ألا ترى ان كل ما اصاب هذه البنت اصابها بسبب حبك لنفسك ألا ترى انهُ لولاك ما كانت اضطرَّت ان تترك البيت الذي ربيت فيهِ حيث كانت مكرَّمة معزَّزة

فقال نافذ بك نعم اني احب نفسي ولكني اقصد بحبي لنفسي ان اعطي أمينة بيتًا آخر ارجو ان تعيش فيهِ اسعد مما عاشت في البيت الذي تركتهُ وتكون مكرَّمة معززة كما كانت في البيت الذي تركتهُ فهل عدم حبك لنفسك يعدها بشيء احسن من هذا

فنظر اليهِ ادهم بك نظر الاستغراب والاستفسار ثم قال لهُ لقد امرني ابي بحمايتها فصار ذلك فرضًا عليَّ ولا بدَّ من القيام بهِ الى النهاية . وهذا اقل ما يجب علينا لها بعد ان عادتها امي بسبب طيشك ولذلك لا بدَّ لي من ان انظر في راحتها وسلامتها . ثم التفت اليَّ وقال اراك صفراء شاحبة يا بنتي اجلسي مكانك ألا تظنين انك تستطيعين الذهاب الآن . والتفت الى نافذ بك وقال لهُ هل اعماك جهلك حتى لا ترى انك تكاد تقتلها فهل من المروَّة وحسن الذوق ان تجبرها على مقابلتك وانت ترى انها ما عادت تستطيع الوقوف على قدميها

فقال لهُ نافذ بك ان مرضتْ فانت تكون سبب مرضها لا انا لانها تحبني كما احبها وانت تشير عليها ان تعصي قلبها وتميت عواطفها ارضاء لابي وان تضحي كل ما تنتظر من السعادة في هذه الحياة واراك تستغرب مع ذلك انها رزحت تحت هذا الحمل وخارت قواها . تقول اني

احب نفسي فهل تقسم بشرفك انك لم تكن تحب نفسك وتسعى في مصلحتك حينما اخبرتها ان اقترانها بي يعود بالعار عليها

ولما قال ذلك نظرتُ اليهِ مبهوتة مرعوبة واصفرَّ وجه ادهم بك فصار كالاموات وكان جالسًا امامي فرأيت في وجههِ علامات من يحاول كظم غيظهِ فلا يستطيع وكان مطرقًا الى الارض حتى لا ارى من عينيهِ الاَّ رموشها ثم رفع رأسهُ وفتح عينيهِ بغتة تخفق فؤادي وكأنهُ كان يراجع نفسهُ بين ان يتكلم او لا يتكلَّم ثم قال ماذا تعني قل لي ماذا تعني. هذه هي المرَّة الثالثة التي لمحت فيها هذا التلميح قل لي صريحًا ماذا تعني وبماذا تتهمني

فتوقَّف نافذ بك عن الجواب وكنت ارى في اضطرابهِ انهُ يعقلهُ كاد يغلب على حدة طبعهِ واخيرًا حوَّل جوابهُ الى صورة سؤال وقال اني اسألك واطلب منك الجواب لو كانت بوار صاحبة الشأن في هذه المسألة أكنت تدافع عنها أو كانت قلة شهامتي ومروءتي تلجئك الى ان تعاملني هذه المعاملة

سكوت تام. كان ادهم بك جالسًا امامي على جانب من الطاولة واخوهُ على الجانب الآخر مقابلهُ وكان النور واقعًا عليهما كليهما على السواء ورأيت على وجه نافذ بك اشارة الابتسام وهو ينظر الى اخيهِ اما اخوهُ فالظاهر انهُ لم يرَ ذلك لانهُ كان ينظر الى الحائط من فوق رأس اخيهِ وعلى وجههِ امارات الكرب الشديد كأنهُ كان يحارب نفسهُ وقد ذهل عمَّن حولهُ. فلم يجب اخاهُ ولا نفى التهمة التي اتَّهمهُ بها وكأنَّ نافذ بك ندم على ما فرط منهُ فلم يكرِّر السؤال بل التفت اليَّ وقال انا ذاهب الآن يا امينة افتكري بكلامي يا حبيبتي وغدًا اعود وارى جوابك الاخير. ثم سار نحو الباب وقبل ان يخرج ناداه ادهم بك قائلاً انك اتَّهمتني تهمة فظيعة فتعال واسمع جوابي. لو طلبت ان تقترن ببوار او باية امرأة كانت ضد اختيار ابي لكنت اشير عليها ان ترفض طلبك وكنت احسب نفسي مصيبًا في ما فعلتُ. ولا يمكنك ان تقترن بامينة من غير رضى ابي لانك تكون قد خرقت خرقًا اوسع من ان يرقع عدا عمَّا ينالك من الضرر بسبب ذلك لانك تتلف مستقبلك. ولو علمت ان كلامي يؤثر في ابي الآن او في مستقبل الايام لكنت احثها على البقاء ثابتة في محبتك ولكنك تعلم ابي كما اعلمهُ انا وهو وان كان بعيد الغضب لكنهُ بعيد الرضى ايضًا ولا يرضى ابدًا على من يخالف لهُ قولاً عن عمد فان كانت ذمتك تطاوعك حتى تقول انك قادر ان تجعلهُ يحول عن عزمهِ يومًا من الايام فانا معك واساعدك على الاقتران بها غدًا. فهل تنتظر مني اكثر من ذلك دليلاً على حسن نيتي وخلوص طويتي

فمدّ اليهِ نافذ بك يدهُ وقال ارجو المعذرة اغا بك كان يجب عليَّ ان لا اتكلم كما تكلمت ولو لم اصر نصف مجنون بالفشل الذي نالني ما كنتُ تكلمتُ هذا الكلام . ومع ذلك فخير لك ان لا تتعرَّض لهذهِ المسألة بل دعني وابي نختصم ونفتصل وتعرّضك لهذه المسألة لا يجدي نفعاً بل يعرضك للشبهات . واني اعلم كما تعلم ان ابي لا يصفح عني ولكن تصرُّفهُ هذا لا يوجب عليَّ طاعتهُ وخير لك ان لا تنتصر لي ولا لهُ

فلم يجبهُ ادهم بك وتظاهر بانهُ لم يرَ يدهُ ممدودة اليهِ لتصافحهُ فانزل نافذ بك يدهُ الى جنبهِ وانتظر دقيقة من الزمان ولما لم يرَ من اخيهِ جواباً دار وسار حتى اذا بلغ الباب التفت الى اخيهِ ثانيةً وقال لهُ ان كنتَ تبقى ضدي فلا تعجب اذا اضطررت ان انظر اليك نظر العداء وان انسى الاحترام الواجب عليَّ لك. اما من حيث صرفي عمّا عزمت عليهِ فاعلم انك لا تقدر على ذلك مطلقاً . قال ذلك وخرج وغطيت انا وجهي بيديَّ ووددت ان اكون وحدي حتى لا ارى احداً

وبقي ادهم بك في الغرفة ومشى الى الشباك وتطلّع الى البحر كانهُ يريد ان يكون على ثقة من ذهاب اخيهِ . ولبث هناك مدة ثم التفت اليَّ وقال متمهّلاً مع ان الغيظ كان اخذاً منهُ كل مأخذ اراك غير قادرة على ان تحتملي اكثر من ذلك وقد اتيت الآن لاخبرك ان امي سلّمت بذهابكِ الى بيت اختي . وستمضي السفينة غداً ولذلك يظن الباشا انهُ خير لكِ ان تسافري فيها افتستطعين السفر غداً

فقلت نعم لان صناديقي لا تزال مربوطة فهل نذهب غداً صباحاً . فقال نعم وساستدعي الطبيب الآن واوضح لهُ الامر . فقمت ومشيت نحو الباب وخرجت ولم يقل لي كلمة اخرى وصعدت الى غرفتي واقفلت بابي وانطرحت بجانب سريري

الفصل العاشر

قمت في الصباح التالي ورأسي يكاد ينصدع وانا كريشة تهب الرياح لا ادري الى اين امضي ولا ما يأتيني بهِ الغد ولذلك ودّعت صاحبة البيت وانا لا اعلم اني اودعها وجاء في سليم آغا وهو من خوّل نصر الله باشا وقال لي ان مولاهُ امرهُ ليمضي معي الى بيت ابنتهِ ويوصلني الى هناك . ورأيت ادهم بك في انتظاري على الرصيف فامسك بيدي واصعدني على السلّم الى السفينة ثم انزلني الى الغرفة المعدة لي وقال ستصلين المدنية قبل المساء وتنتظرين القافلة هناك يوماً او يومين وقد كتبتُ الى اختي مع البريد الماضي ولكني لا اظن ان كتابي يصل اليها في الوقت لترسل لكِ ركوبةً ولكنها تعلم الآن بذهابك اليها وتنتظركِ وقد اخبرتها من قصتك

ما يغنيكِ عن الاجابة عن مسائل يصعب عليكِ الجواب عنها . ووقف عن الكلام قليلاً ثم قال ان ابي يسلّم عليكِ وكان يحبُّ ان يأتي بنفسهِ لوداعكِ ولكنهُ خاف ان يحدث نافذ ذلك وقد بعث اليكِ هذه المئة الليرة وهي ليست من دراهمكِ واعطتني امي هذه الليرة لكِ وفيها الحلى التي تركتها جدتكِ

وكان من عادتهِ ان يتكلم متمهلاً اما الآن فكان يتكلم على غاية السرعة وكانت امارات الكدر الشديد على وجههِ وتحت عينيهِ دائرتان سوداوان دلالة على انهُ لم ينم في الليل الفائت

وقال بعد ان سكت مدةً مع السلامة يا بنتي ديري بالك لنفسكِ

فامسكت يدهُ وقبلتها وافكرت حينئذٍ باخيهِ فضاق بصدري ولكنني صرفت هذا الفكر عن بالي حالاً لكي لا ادعهُ يلحظ عليَّ شيئاً . ومشى خطوةً نحو الباب ثم عاد اليَّ وامسك يديَّ بيديهِ ونظر في وجهي مليًّا كأنهُ يتضرَّع اليَّ فاستغربت ذلك منهُ لانني كنت اراهُ قبلاً من اصلب الناس ثم قال اتصدقين يا امينة انني لم افعل الاَّ ما يجب فعلهُ في هذه الاحوال واني كنت اودُّ من كل قلبي ان تقتربي بنافذ ولكني لم اجد الى ذلك سبيلاً

فقلت لهُ نعم اعرف انك فعلت ما يجب فعلهُ ولا انكر جميلك ومعروفك وادعم بك ولاسيما في ساعة الضيق وساحفظ لك ذلك ما دمت حيةً

فاشرق وجههُ قليلاً وانحنى وقبَّلني في جبيني وقال لي الحمد لله فقد فرجني غمومي ثم دار وخرج وتركني وحدي

ستأتي البقية

اغنياء اميركا

(تابع ما قبله)

(٤) يوسف ليتر ملك الحنطة

هو شاب في مقتبل العمر وابوهُ من سكان الشارع الخامس في نيويورك اي من اغنياء اميركا المعدودين . بدأ الاحتكار وهو دون العشرين من عمرهِ وذلك انهُ اشترك مع بعض المضاربين في شراء الحنطة من اميركا واوربا في ٢ ابريل سنة ١٨٩٧ وكان ثمن البشل اولاً ١٥ غرشاً فلم يمضِ على ذلك اربعون يوماً حتى بلغ ٣٥ غرشاً . ثم هبطت الاسعار بالمضاربات فعاد ليتر الى شراء الحنطة البشل بثلاثة عشر غرشاً وظلَّ يفعل ذلك حتى اجتمع لديهِ ٣٥ مليون بشل . واتفق نزول الارزاء على الولايات التي يرد القمح منها كجيورجيا وفلوريدا واحترق